الدكتور نور الدين عتر

جهوده ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن

د. بكّار الحاج جاسم

جامعة يالووا - تركيا

ملخص

إذا أحبَّ الله تعالى عبدًا من عباده وضع له القبول في الأرض ونشر صيته، ولم أرَ في وقتنا المعاصر أحدًا من علماء الأمَّة حظي بالقبول والثناء كمثل أستاذنا الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى، ومن الوفاء وردِّ الجميل لأهله أنْ نقدِّم هذا البحث في جهوده ومنهجه في علوم القرآن والتفسير، وكانت كتبُه في علوم القرآن والتفسير كغيرها من كتبه تتميَّز بالدِّقَّة العلمية والتأصيل والتزام الأصول التي اتَّفق عليها الراسخون في العلم، وقد جمع بين الأصالة والمعاصرة، فكما كان دقيقًا ملتزمًا بأصول العلم كان أستاذًا جامعيًا متميِّزًا بأسلوبه السهل الواضح، وهذا ما يكشفه البحث، حيث نجمع جهوده في علوم القرآن والتفسير، ثمَّ نبيِّن منهجه في كتبه المتعلِّقة بذلك، ونبيِّن موقفه من التفسير الحديث، ثمَّ نختم البحث بأبرز النتائج التي أشرتُ إليها في هذا الملخَّص.

الكلمات المفتاحية: الدكتور نور الدين عتر، التفسير، علوم القرآن، جهود، منهج.

Müfessir Dr. Nureddin Itir ''Dr.Nureddin Itr'ın Kuran ve Tefsir ilimlerine dair yaptığı çalışmaları ele alan ilmî bir araştırma''

DOÇ. Dr. Bakkar Alhaj Jasem

Özet

Allah teala bir kulunu sevdiği zaman onu insanlara kabul ettirir ve çalışmalarını insanlar arasında yayar. Asrımızda İslam ümmeti içerisinde hiçbir alimin, üstadımız Dr. Nureddin Itir rahimehullah gibi bütün herkes tarafından sevilip takdir edildiğini görmedim. Bir vefa borcu ve karşılık olarak bu araştırmamızda, onun Kuran ilimleri ve tefsir alanında göstermiş olduğu çaba ve gayretlerini araştırıp sunduk. Ben de bu anlamda lisans için bazı kitaplarını ders kitabı olarak kabul ettim. Aynı zamanda fakültede onun öğrencisi olmakla da müşerref oldum. Üniversitede bize hocalık yapıp ondan ilim almaya başladığımız sırada bize olan en büyük etkisi, fakültede aynı sınıfı tekrarlayan öğrecilerine 'falan öğrencimiz' diye seslenmesi olmuştu. Kuran ilimleri ve tefsir alanındaki kitapları, diğer kitapları gibi ilmi inceliğe, derin bilgilere ve ilimde derinleşen alimlerin üzerinde ittifak ettiği esaslara bağlı olan kitaplardır. Dr. Nurettin Itir, mütekaddim ve muasır ilimleri bir arada cem etmiştir. İlmî esaslara bağlı dakik biri olduğu gibi, aynı zamanda basit ve açık üslubuyla da mütemeyyiz bir üniversite hocasıdır. İşte bu araştırmamız bunlara değineceğiz; tefsir ve Kuran ilimlerindeki çabalarını araştırıp, bu konuyla alakalı kitaplarında izlediği metodu ve güncel tefsir alanındaki konumunu beyan edeceğiz. Son olarak bu araştırmamızı, bahsi geçen en bariz neticelerle bitireceğiz.

Anahtar Kelimeler: Nureddin Itir, Tefsir, Kuran ilimlerine, Yöntem, çabalar.

Dr. Nour El-Din Ater, as interpreter of the meanings of the Holy Qur'an Scientific research dedicated to his efforts and methods in studding the Holy Qur'an and its Interpretation

Dr. Bakkar Alhaj Jasem

Abstract

When Allah loves a Person, then the Said person will be loved, accepted, highly estimated among people on earth, and I have not seen in our time, a scholar who was praised, appreciated among his peers, as much as Dr. Nour El-Din Ater, may Allah have mercy on his soul. In honor of his memory, we would like to dedicate this research to his efforts and methods in studding the Holy Qur'an and its Interpretation.

Dr. Nour El-Din Ater was known for his humility and great manners; he was even addressing and treating junior researchers as co-workers and peers, I studied some of his books about the interpretation of the meanings of the Holy Qur'an as a college student then I taught them later at the same college, His books were distinguished by scientific accuracy and intense objectivity, his writing combined originality and modernity, and he was extremely good at explaining and conveying information in a simple and clear manner.

In this research, we will address his efforts in interpreting the meanings of the holy Qur'an and cite his books in that field; we will also refer to his efforts in the field of interpretation and explanation the hadiths.

Keywords: Dr. Nour El-Din Ater, Interpretation, Studding the Holy Qur'an, Efforts, Methods.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمَّد وآله وصحبه، أمَّا بعد: فإنَّ ذكر الصالحين لونٌ من ألوان التقرُّب إلى الله تعالى، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مريم: ١٦]، و﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [مريم: ٤١]. و﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ [مريم: ٥١]، و﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤]، و﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦].

فنذكر في هذا البحث أستاذنا وشيخنا: الأستاذ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى، ونذكر جهوده ومنهجه في علوم القرآن والتفسير خاصَّة؛ حيث تشرَّفْتُ بتدريس بعض كتبه في علوم القرآن والتفسير في كلِّيَّة الشريعة ومعهد الفتح الإسلامي في دمشق، وقد دَرَسْتُها في المرحلة الجامعية، فَتَعَلَّمْتُ منها وعَلَّمْتُهَا؛ لهذا السبب اخترتُ هذا العنوان في البحث، وتأتي أهمِّيَّته من جهتين؛ **الأولى**: تتعلَّق بالقرآن الكريم، **والثانية**: تتعلَّق بأستاذنا، فقد كانت له أنفاسٌ مباركة في كتاباته، وكانت له توجيهات تربويَّة خاصَّة، ويبدو أنَّه كان فَطِنًا للغاية الكبرى من العلم التي يغفل عنها الكثير، حتَّى من الذين لهم صلة بالقرآن وعلومه، تلك الغاية -التي أسميها كعبة العلم- هي الربَّانيَّة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فكلُّ مَنْ عَرَفَ الشيخ نور الدين عتر رحمه الله تعالى أقرَّ له بهذه الصفة الربَّانيَّة، ولم يكن بدعًا من الأمر، فهو من شجرة مباركة نسبًا وعلمًا، اللهم نسألك بركة ذينك الأمرين.

وهذا الموضوع لم يُبْحَث بحسب اطِّلاعي وسؤالي وبحثي، وهناك رسالة علمية معروفة لدى الدارسين تقدَّم بها الدكتور عبد العزيز الخلف عن أستاذنا، تناول فيها جهوده في علوم الحديث، وقد أشار إلى كتبه في علوم القرآن والتفسير.

والمنهج المعتمد في البحث هو المنهج الوصفي، حيث أعرض وأصف جهود أستاذنا في علوم القرآن والتفسير، وكذلك المنهج الاستنتاجي، حيث أستنتج منهجه في ذلك، خاصَّة فيما لم يصرِّح به؛ لأنَّ أستاذنا كان يذكر منهجه في مقدِّمات كتبه،

وهذا يسهِّل على الباحث تتبُّع الجزئيَّات وتقديم النماذج التطبيقية في المنهج.

وخطَّة البحث جاءت في مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، فأمَّا المقدِّمة فتناولتْ سبب اختيار الموضوع، وأهمِّيَّته، والدراسات السابقة، والمنهج، والخطَّة العامَّة، وأمَّا التمهيد فتناول التعريف بالدكتور نور الدين عتر، وأمَّا المبحث الأوَّل فتناول جهوده في علوم القرآن والتفسير، فيعرض ويصف الكتب في ذلك، وأمَّا المبحث الثاني فتناول منهجه في علوم القرآن، وأمَّا المبحث الثالث فتناول منهجه في التفسير، وأمَّا الخاتمة فتناولتْ أبرز نتائج البحث.

والله أسأل السداد والثبات، وأنْ ينفعنا بعلوم أستاذنا وشيخنا نور الدين عتر، وأنْ يرفع ذكره في الآخرة كما رفعه في الدنيا، وأنْ يدخلنا في عباده وفي جنَّته.

تمهيد

وُلد الأستاذ الدكتور نور الدين عتر في حلب الشهباء عام ١٣٥٦هـ، الموافق ١٩٣٧م، درس في الثانوية الشرعية (الخسروية)، وتميَّز بالتفوُّق والسبق في العلم والعمل من وقتها، حصل على الشهادة الثانوية الشرعية عام ١٩٥٤م حائزًا الرتبة الأولى، ثمَّ التحق مباشرة بجامعة الأزهر في مصر فحاز الليسانس عام ١٩٥٨م، وكان الخرِّيج الأوَّل على دفعته، وكان موضع نظر أساتذته الأجلَّاء من شيوخ الأزهر وعلمائه لما رأوه فيه من النجابة والجدِّ والتقى، وقد قسَم له المولى الإفادة من علماء عاملين ربَّانيين كُثر، إلَّا أنَّ صاحب الأثر الأكبر في تكوينه العلمي والروحاني هو سراج الأمَّة في عقودها الأخيرة شيخ الإسلام العلَّامة الشيخ عبد الله سراج الدين الحسيني، الحافظ المفسِّر، والعارف المحقِّق، والدكتور نور الدين رحمه الله تعالى ابن أخته وصهره زوج ابنته.

وفي عام ١٩٦٤م حاز على الشَّهادة «العالِمية - الدُّكتوراه»، من شعبة التَّفسير والحديث بتقدير ممتاز مع الشرف، حيث قدَّم أطروحته: «طريقة الترمذي في جامعه والموازنة بينه وبين الصَّحيحين»، والتي تعدُّ نموذجًا فريدًا من حيث المضمون والمنهج؛ وغدت طريقته في تبويبها نمطًا فريدًا اعتمده كثير من الباحثين في مناهج المحدثين، وبعد تحصيل الدكتوراه عاد لسوريا مباشرة، فدرَّس في المرحلة الثانوية لفترة يسيرة، ثمَّ عُيِّن مدرِّسًا لمادَّة الحديث النَّبويِّ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوَّرة، على ساكنها أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام، منذ عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٦٧م وفي عام ١٩٦٧م عاد إلى دمشق ليعُيَّن مدرِّسًا ثمَّ أستاذًا في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق فيها، ودرَّس مادَّتي الحديث والتفسير في كلِّيَّات الآداب في جامعتي دمشق وحلب، كما درَّس في العديد من الجامعات العربية والإسلامية لفترات وجيزة، إضافة إلى العديد من المساجد، وقد تخرَّج على يده آلاف المدرِّسين، منهم نخبة متميِّزة من العلماء والأساتذة، وأشرف على عشرات الأطروحات الجامعية من دكتوراه وماجستير، وهو محكَّم لبحوث الترقية لمدرِّسي الجامعات، وعُرف بدقَّته الشديدة في تحكيمه.

تجاوزت مؤلَّفاته الخمسين ما بين تحقيق وتأليف، أبرزها كتاب: (منهج النقد في علوم الحديث) الذي اعتُبر مرحلة تاريخية جديدة في علم المصطلح بعد مرحلة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكتابه (إعلام الأنام) الذي يعدُّ تحفة فريدة في الحديث التحليلي، أبدع في بيان كيفيَّة استنباط فقهاء الأمَّة الأحكام المختلفة من النصِّ الواحد، وكتبه عمومًا تتَّسم بالابتكار في التبويب، وتكثيف المعلومات مع وضوحها للمتخصِّص في آن، وهذا قلَّ ما يجتمع، وأكثر مؤلَّفاته معتمدَة كمقرَّرات جامعية في العديد من الجامعات، كجامعة دمشق والأزهر وغيرها.

كان لطلَّابه أبًا شفوقًا ومعلِّمًا صارمًا ومربّيًا مصلحًا، أثَّر في حياتهم العلمية والدعوية، وكانت له الأيادي البيضاء في افتتاح كثير من المعاهد والمدارس الشرعية، ومساعدة عدد من طلاب العلم مادِّيًّا في الخفاء، فتزكية النفس غايته، وإدراك رضا الله ورسوله هدفه، زاهدٌ في المناصب والدنيا، متواضعٌ، سمحٌ، رحيمٌ، نقيُّ الصدر نقاء الثلج، خاشعٌ، رقيق القلب بكَّاءٌ، وإنَّ من يحضر مجالسه من ذوي الألباب يجزم أنَّ الشيخ يحيا في عالم من أحبَّهم قلبُه وتعلَّق بهم من السيِّد الأكرم صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه وأتباعه، ولذلك فإنَّه رغم ضخامة إنجازاته يختار الخفاء دائمًا، والبعد عن الأضواء ما أمكنه؛ بل لا نبالغ إن قلنا إنَّ منهجه هضم النفس والتواضع، مع عطيَّة ربَّانية من الوقار والهيبة، يؤتيها الله تعالى أهل الصدق والاستقامة.

المبحث الأوَّل

جهود الدكتور نور الدين عتر في علوم القرآن والتفسير

قبل البدء في بيان جهود الدكتور نور الدين في علوم القرآن والتفسير أقدِّم بعض الملاحظات:

أوَّلًا: بعض الكتب أُلِّفَتْ تأليفًا أكاديميًّا لأجل التدريس في الجامعة، ولهذا نجد تداخلًا في موضوعاتها وعناوينها بما يناسب المرحلة الدراسية والكلِّيَّة التي تُدَرَّس فيها، فالكتاب الذي يُدَرَّس في كلِّيَّة الشريعة لا يكون موافقًا من كلِّ جهة للكتاب الذي يُدَرَّس في كلِّيَّة الآداب.

ثانيًا: نجد إضافات وتعديلات، وخاصَّة إذا نُشِر الكتاب خارج الجامعة.

ثالثًا: بعض العناوين مُسْتَلَّة من كتاب، لأجل التوسعة في الموضوع أو نشره في مجلَّة من المجلَّات العلمية أو تسهيله للعامَّة، سنشير إليها فيما يأتي:

المطلب الأوَّل: الجهود في علوم القرآن

١- **علوم القرآن الكريم**، طُبِع عدَّة طبعات، فالطبعة التي راجعتها تتألَّف من خمسة وعشرين فصلًا تضمَّنت أغلب موضوعات علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي، وقد تضمَّن هذا الكتاب كتاب **محاضرات في علوم القرآن**، وكتاب **التفسير وعلوم القرآن**، وكتاب **القرآن الكريم والدراسات الأدبية**، وهذا مثال على ما تقدَّم من ملاحظة الإضافات والتعديلات ومناسبة المرحلة الدراسية، ونُشر الكتاب خارج الجامعة، فكتاب علوم القرآن هو الكتاب العامُّ، وهو العمدة من بين هذه الكتب؛ ولهذا سنتكلَّم عن منهجه في المبحث الثاني.

٢- **من إبداع القرآن الكريم**، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، لم أطَّلع عليه مباشرة، إنَّما وجدتُ تعريفًا بالكتاب من خلال الشبكة العنكبوتية، إعداد: د.

شوقي محسن، مركز الدراسات القرآنية.[١] ويبدو أنَّ موضوعاته مشابهة لموضوعات الكتب المتقدِّمة في علوم القرآن، مع إضافات أبرزها ما ذكره الباحث، قال: «أمَّا الفصل الرابع فاختار له عنوانًا: في التفسير والتحليل الأدبي؛ واشتمل على ما يلي: تحدَّث عن التفسير والدراسة الأدبية، وضمَّنه دراسات موجزة لبعض النصوص القرآنية؛ النصُّ الأوَّل: من سورة البقرة (١-٢٥)، والنصُّ الثاني في الإلهيَّات من سورة القصص (٦٨-٧٥)، والنصُّ الثالث في الغيبيَّات من سورة الكهف (٩٩-١١٠)، والنصُّ الرابع في الكون من سورة الأنعام (٩٥-١٠٥)، والنصُّ الخامس في المجتمع من سورة البقرة (٧٥-٨٢)»، ومن الإضافات ما ختم به الكتاب كما قال الباحث: «ثمَّ ختم الباحث بحثه بعنوان: في آثار القرآن الكريم في اللغة العربية، وأجمل بعض جوانبها في الآتي: أوَّلًا: تهذيب اللسان العربي من الحواشي والغريب وممَّا لا يناسب الفصاحة. ثانيًا: تخليص اللغة العربية من شتات اللغات القَبليَّة الكثيرة. ثالثًا: تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية تنطق بها الأمم. رابعًا: المحافظة على اللغة العربية من الضياع والشتات والانفصام. خامسًا: تحويل اللغة العربية إلى لغة مقَّعدة منضبطة. سادسًا: نشوء علوم البلاغة العربية. سابعًا: تنمية ملكة النقد الأدبي وضبط المقدرة الأدبية بمقياس مجمع عليه. ثامنًا: رفع مستوى اللغة العربية أسلوبًا ومضمونًا مادِّيًّا ومعنويًّا».[٢]

٣- **كيف تتوجَّه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها**، واختصره بعنوان: **كيف تتوجَّه إلى القرآن**، تناول فيه آداب حملة القرآن للعالِم والمتعلِّم، على نحو كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي.

٤- **علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن وكشف إعجازه**، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق. وهذا نوع من أنواع علوم القرآن خصَّه بالبحث لأهمِّيَّته في تفسير القرآن وكشف إعجازه كما قال.

٥- **جمع القرآن الكريم وتوثيقه في عهد النبيِّ ﷺ**، دار الغوثاني للدراسات

١ https://www.arrabita.ma، موقع الرابطة المحمَّدية للعلماء، المملكة المغربية.

٢ https://www.arrabita.ma، موقع الرابطة المحمَّدية للعلماء، المملكة المغربية.

القرآنية، دمشق. كذلك هذا نوع من أنواع علوم القرآن خصَّه بالبحث لأهمِّيَّته في معرفة كيفيَّة توثيق القرآن، والدلالة على تواتره الذي يفيد اليقين في ثبوته وتلقِّيه عن مصدره الأوَّل الوحي.

المطلب الثاني: الجهود في التفسير

الجهود المتقدِّمة في علوم القرآن هي جهود تخدم علم التفسير من الناحية التطبيقيَّة، وقد ألَّفَ أستاذنا في التفسير كتبًا خاصَّة لطلَّاب الجامعة في كلِّيَّتي الشريعة والآداب؛ ولهذا كان تفسيره مختاراتٍ تناولتْ بعض السور والآيات، وسنعرف منهج ذلك الاختيار، ولا أعلم أنَّ له كتابًا في التفسير للعامَّة.

١- **آيات الأحكام: تفسير واستنباط**، يُدَرَّس في السنة الثالثة في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق، وقد درسته، بالاشتراك مع بعض زملائي لمدَّة تسع سنوات، ويتضمَّن نصوصًا مختارة من سورتي النساء والمائدة، والقسم الأخير من الكتاب تضمَّن نماذجَ من تفسير أحكام القرآن لكلٍّ من الكيّا الهراسي وابن العربي والجصَّاص.

٢- **التفسير: أحكام القرآن**، يُدَرَّس في السنة الرابعة في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق، وكذلك درسته بالاشتراك، ويتضمَّن تفسير سورة الفاتحة من تفسير الطبري، وسورة الأنفال، ومختارات من سورتي البقرة وآل عمران.

٣- **أحكام القرآن في سورة النساء**، يُدَرَّس لطلاب الدراسات العليا.

٤- **في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا**، تناول تفسير سورة الفاتحة، والنبأ، وتبارك، والمزمِّل، والنبأ، وعبس، والبروج، وأصله محاضرات في تفسير القرآن الكريم.

٥- **تفسير سورة الفاتحة أمّ الكتاب في ضوء السنَّة النبويَّة وفنون اللغة والبلاغة العربية**، وهي من موضوعات الكتاب المتقدِّم.

المبحث الثاني

منهج الدكتور نور الدين عتر في علوم القرآن

سأقتصر على كتاب علوم القرآن؛ لأنَّه تناول أكثر مسائل علوم القرآن، ولتضمُّنه موضوعات بقيَّة الكتب في هذا الخصوص، كما أشرنا في المبحث السابق، وقد سهَّل أستاذنا على الباحثين معرفة منهجه بشكل عامٍ من خلال ذكره لمنهج الدراسة في مقدِّمات كتبه.

قال في مقدِّمة كتاب علوم القرآن: «فلا عجب أن تكثر الدراسات حوله حتَّى لا تحصى، وأن تفيض القرائح والأقلام بالمؤلَّفات من دراسته حتَّى لا تستقصى، وإنَّ من أهمِّ دراسة تتأكَّد على دارس القرآن خاصَّة، والمثقَّف المسلم عامَّة، هي هذه الدراسة التي نقدِّم فيها هذا الكتاب، التي تبيِّن مصدر هذا القرآن الإلهي، ونزوله لهدايتنا، وأصول تفسيره، وما يلزم من علوم ودراسات ضرورية لحسن فهمه، وتُبرز إعجازه في فنون بيانه، وعجائب معانيه ومضامينه، وتُثلج قلب القارئ بحلاوة اليقين، بكتاب الله، وحقيقة الإيمان برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، مؤيَّدًا بالأدلَّة الساطعة والحجج اليقينيَّة القاطعة، وضمَّنته إيضاحًا لما التبس على بعض الكاتبين، وتصحيحًا لما خبط فيه بعض المعاندين، من أجانب مستشرقين، أو أتباع لهم من جلدتنا مقلِّدين، وراعيت في ترتيبه ما يتَّصل بالتفسير، ثمَّ الإعجاز، وفي أسلوبه وضوح العبارات، والاقتصار على المهمَّات، ممَّا يحتاجه دارسو الشرع الحنيف، وراغبو الثقافة في ضوء القرآن الكريم».[١]

إذن فالمنهج واضح من خلال هذا النصِّ، بقي أنْ نذكر نماذجَ تطبيقيَّة تؤكِّد هذا المنهج، وأبدأ بالآتي:

١ علوم القرآن الكريم، ٥.

المطلب الأوَّل: التنبيه على الأخطاء في المفاهيم

أوَّلًا: نبَّه على الخلط بين مفهوم علوم القرآن من حيث اللغة والاصطلاح، قال: «من هنا ندرك الخطأ الواضح الذي وقع فيه من عرَّف علوم القرآن فقال: «هي جميع المعلومات والبحوث التي تتعلَّق بالقرآن...»»، فقد خلط بين المعنى اللغوي وهو يدلُّ على علوم كثيرة، والمعنى الاصطلاحي وهو علم واحد»، وعرَّفه بأنَّه: «المباحث الكلِّيَّة التي تتعلَّق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، وغير ذلك».[1]

ثانيًا: نبَّه على الخطأ في فهم مذهب السلف في الآيات المتشابهة في الصفات، قال: «وقد تاه أقوام في فهم مذهب السلف، وأتوا في تعريفهم به بعبارة موهمة، فقالوا: إنَّ المراد من هذه الآيات المتشابهة في الصفات هو معناها الحقيقي على وجه يليق به تعالى، وهذا تعبير منتقد من حيث اللفظ والمعنى؛ أمَّا انتقاده من حيث اللفظ فلأنَّ السلف لم يأتوا بكلمة «حقيقة»، وهذا باب دقيق يجب التقيُّد فيه بالعبارات المنقولة تمامًا، فكيف نقحم على كلامهم ما لم يقولوا؟ وأمَّا انتقاده من حيث المعنى فلأنَّ قولهم: «المراد معناها حقيقة» يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه، وقولهم: «على وجه يليق به» ينافي ذلك، فصارت العبارة متناقضة موهمة، حتَّى وجدنا كثيرًا ممَّن نظر في كلام أصحاب هذا الرأي أو اعتقده يتَّجه فهمه إلى التشبيه من حيث لا يشعر».[2]

ورأى أستاذنا أنَّ مَنْ نظر وتأمَّل في سياق الآيات الواردة من متشابه الصفات عَدَلَ عن المعنى الظاهر إلى التأويل، وذكر بعض الأمثلة، ثمَّ قال: «وحسبنا في هذا كلام الإمام الحافظ السلفي ابن كثير، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]؛ أي: الأمور كلُّها تحت تصريفه، وهو المعطي المانع، يمنُّ على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرُّف التامِّ...»، وقال في تفسير آية: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، أي: هو حاضر معهم، يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم،

---

١ علوم القرآن الكريم، ٨، وراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني.

٢ علوم القرآن الكريم، ١٢٧.

ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله ﷺ، ثم عقَّب أستاذنا بالقول: «إنَّه إذا خيف من ترك التأويل سوء فهم الناس ووقوعهم في الزيغ وجب التأويل والأخذ بمذهب الخلف، وما أكثر ما يُحتاج إليه في هذا الزمن الذي قلَّ فيه العلم وكثر الجهل، وشاعت في أوساط المتعلِّمين أساليب التفكير العامِّيَّة، وطرق التصوُّر السطحية».[1]

المطلب الثاني: الردُّ على المستشرقين

أوَّلًا: ردّ على دعوى الوحي النفسي التي وَجدت لدى المنكرين ومثيري الشبهات مرتعًا خصيبًا، لما فيها من التلبيس الخبيث والمكر في الدسِّ والافتراء الذي يضفي على هذه الفرية مسحة كاذبة من دعوى البحث العلمي العصري، وإنَّ الثابت المقرَّر من مظاهر الوحي وآثاره ليثبت بطلان هذه الدعوى وكذبها من وجوه كثيرة، ذكر منها:

١- إعجاز القرآن، إنَّ نفس محمَّد ﷺ مهما صَفَتْ فإنَّها ستظلُّ كسائر المتعبِّدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم؛ لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم ويتفوَّقوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحي به إلى محمَّد ﷺ معجِز تحدَّى الجنَّ والإنس والأوَّلين والآخرين، فأنَّى يمكن أن يكون هذا الكتاب إلَّا من عند الله.

٢- إنَّ حادث الوحي يثبت بما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّه آتٍ من ذات مستقلَّة خارجة عن ذات النبيِّ ﷺ، وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إنَّ الملَك جاء إلى النبيِّ ﷺ فجأةً كما في الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «فجاءه الملَك فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني حتَّى بلَغَ منِّي الجهد، ثمَّ أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فهذا الحادث يوضِّح أنَّ هناك ذاتًا خارجة عن ذات محمَّد ﷺ وشخصه، تملي عليه وتأخذه وتضمُّه وتعصره وتقول له: اقرأ، فهي ذاتٌ متكلِّمة، وهي ذاتٌ آمرة ومؤثِّرة في بدنه بالضغط الشديد عليه، حتَّى يقول النبيُّ ﷺ: «لقد خشيت على نفسي»، وذلك يُثبِت بطلان زعم الوحي النفسي.

---

١ علوم القرآن الكريم، ١٢٩.

٣- إنَّ عبقريَّة الإنسان تحمل بالضرورة طابع الأرض، حيث يخضع كلُّ شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيَّد بحدودهما وآفاقهما، بينما يتخطَّى القرآن دائمًا نطاق هذه الحدود؛ ليدلَّ من خلال رحابة موضوعاته إلى أنَّ دور محمَّد ﷺ فيه إنَّما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقِّي، ثمَّ الإبلاغ للعالم.[١]

ثانيًا: مناقشة المستشرقين حول المكِّي والمدني، ذكر أنَّ بعض المستشرقين ومَنْ تبعهم من ببَّغاوات تتلمذتْ عليهم من أبنائنا زعموا أنَّ القرآن متأثِّر بالبيئة، فلمَّا كان محمَّد ﷺ في مكَّة بين الأمِّيين جاءت سور المكِّي وآياته قصيرة، ولمَّا وُجد في المدينة بين مثقَّفين مستنيرين جاءت سور المدني وآياته طويلة، وجاء القرآن المكِّي لذلك خلوًا من التشريع والأحكام، بينما القسم المدني مشحونٌ بتفاصيل التشريع والأحكام، ورأوا أنَّ القسم المكِّي يمتاز بالهروب من المناقشة، وبالخلوِّ من المنطق والبراهين، بخلاف القسم المدني فهو يناقش الخصوم بالحجَّة الهادئة والبرهان الساكن الرزين.

ثمَّ ذكَرَ أستاذنا أنَّ هذا في الواقع تجنٍّ واختلاق، صادر عن سفيه جهول، أو آفك مغرض متحامل حقود، ونورد إلماحات وجيزة لردِّ هذا الزعم فيما يأتي:

١- إنَّ سمات المكِّي والمدني الأسلوبية وكذا الموضوعية خاضعة لقضية البلاغة الجوهرية والمسلَّمة لدى كلِّ ذي إلمام بالبلاغة والبيان، وهي مراعاة مقتضى الحال، لذلك نجد في المكِّي سورًا طوالًا، ونجد في المدني سورًا قصارًا، وفيها الآيات والفقرات القصيرة، كما في سورة الكوثر، وهي أقصر سورة في القرآن، كذلك نجد في المدني شدَّة أحيانًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمرن: ١٣٠، ١٣١]، كما قد نجد كذلك في المكِّي اللين والعفو البالغ أقصاه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

١ علوم القرآن الكريم، ٢٣.

٢ - إنَّ ادِّعاء خلوِّ القرآن المكِّي من الحِجج والأدلَّة مناقض للحقائق، فالقرآن المكِّي من سماته الموضوعية اعتناؤه بالدلائل العلمية الكونية على عظمة الله تعالى ووحدانيَّته، وعلى إبداع حكمته وجليل علمه وقدرته، حتَّى كانت فيه دلائل الإعجاز العلمي، الذي أَلِّفت ولا تزال الكتب تؤلَّف في كشف عجائب هذا الإعجاز، وكذلك نجد في القرآن المكِّي الدلائل العقلية القاطعة على حقِّيَّة التوحيد، والقيامة، وبعث الرسل وغير ذلك، وقد سبقت لنا آيات من سورة «يس» في دلائل القيامة.[١]

المبحث الثالث

منهج الدكتور نور الدين عتر في التفسير

أشرتُ في المبحث السابق أنَّ كُتُب أستاذنا في التفسير كانت موجَّهة إلى طلَّاب الجامعة في كلِّيَّتي الشريعة والآداب؛ ولهذا كانت تتميَّز بالدِّقَّة والعمق والتأصيل والبعد عن السطحيَّة، وسار على المنهج الذي اتَّفق عليه المفسِّرون، وكان ذلك من مقاصده التي صرَّح بها والتزمها، كما سيأتي بيانُه في المطلبين الآتيين:

المطلب الأوَّل: منهج التفسير العلمي البياني وغايته

بيَّن المنهج والغاية من كتابه (في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا)، فقال: «فرأيت تقديم هذا الكتاب لسدِّ حاجة الدراسين إلى نماذج من التفسير، تعنى بجلاء أسرار آيات الله البيانية، وإبراز إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه، وإعجازه في مضمونه، وخصوصًا إعجازه العلمي، وقد راعينا في هذا الكتاب الموجز أنْ نقدِّم دراسات لسورٍ من القرآن الكريم تلبِّي تلك الحاجة، ولا سيَّما لدى دراسي اللغة العربية والأدب العربي، وتوفي ما يحتاج من تطبيق العلوم الشرعية واللغوية، ودراسة الأسلوب دراسة تُبرز إعجاز القرآن في حروفه وكلماته وجمله وأسلوبه، وهكذا يجد الدارس بيان غرض السورة موضوعها وارتباطها بالسورة التي قبلها، ثمَّ ارتباط

١ علوم القرآن الكريم، ٦٨.

أجزائها ببعضها، حتَّى ارتباط آخر السورة بفاتحتها، كما يجد العناية بأسباب النزول وكشف بعض إعجاز القرآن من خلالها، ثمَّ بيان الجوانب اللغوية والنحوية للتوصُّل إلى جلاء المعنى، ومن ثَمَّ جلاء أسلوب القرآن المعجز، بعيدًا عن استعمال ألفاظ اعتاد كثير من دارسي الأدب استعمالها دون تدقيق، مبيِّنًا هذه الجوانب بالاعتماد على دلالات اللغة والصيغة والتركيب وغير ذلك».[1]

ثمَّ قال: «كما أنَّا عنينا بتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث، وجلونا ما يستنبط من الآيات من الفوائد، وبيان البحوث العلمية التي تتعلَّق بالقرآن، لجلاء إعجاز مضمونه، وخصوصًا إعجاز القرآن العلمي، وهكذا جاءت دراستنا هذه مشتملة على مهمَّات التفسير الموضوعي، ومعتنية بالتفسير التحليلي، وبشرح أسلوب الآيات المعجز، والإعجاز العلمي، وشملنا في دراسة الأسلوب جوانب أخرى غيره، وساعد ذلك على إيجاز الدراسة والبعد عن التكرار، ولا بدَّ من القول إنَّ وفاء دراسة القرآن العظيم حقَّها أمرٌ جليل، أقرَّ بالقصور عنه أئمَّة هذا العلم، غير أنَّه لا بدَّ أنْ يعمل أهل العلم على تلبية حاجة عصرهم المتجدِّدة، قيامًا بواجب الأمانة وحقِّ الإبلاغ، وسيرًا في سبيل النهضة».[2]

ويبدو من خلال هذه المقدِّمة أنَّ منهجه في التفسير كان موافقًا للمنهج الذي اشترطه أئمَّة التفسير، حيث اعتمد في تفسيره على دلالات اللغة والصيغة والتركيب والنحو، والاعتناء بأسباب النزول، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسُّنَّة، وجمع بين منهج التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي، وقد أكَّد في كتاب آيات الأحكام اتِّباع منهج علماء أصول التفسير، قال: «وقد راعينا في إعداد الكتاب طريقةً تُعلِّم قارئه كيفيَّة التفسير ومنهجه؛ باتِّباع الخطَّة التي بيَّنها علماء أصول التفسير، ومراعاة الأولويَّات في ترتيب فقرات التفسير التي اختلَّتْ في كتبٍ معاصرةٍ لتفسير آيات الأحكام... كذلك راعينا في بيان المعنى أو الحكم التنبيه على القاعدة التي استخدمتْ في تفسير المعنى أو استخراج الحكم أو الفائدة».[3]

١ في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا، ٥.

٢ في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا، ٦.

٣ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٦.

إذن ليس الغرض من التفسير سرد معلومات فقط كما لاحظَ أستاذنا في بعض التفاسير المعاصرة، إنَّما الغرض أنْ يُوْقَف القارئ على قواعد تفسير النصوص من خلال اتِّباع أصول التفسير؛ حتَّى لا ينحرف الإنسان بالتفسير بعيدًا عن أصوله وقواعده، وعن المنهج الصحيح في النظر والبحث والترتيب والتقسيم والاستنتاج... إلخ. هكذا كان منهج أستاذنا في تفسيره، وقد أشار أنَّه يجمع بين التفسير التحليلي والموضوعي، وسأبيّن الفرق بينهما بعد ذكرِ أنموذجٍ تطبيقيٍّ من كتابه: (في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا)، وسيظهر من خلال هذا الأنموذج نقاط مهمَّة في المنهج لم يذكرها أستاذنا في مقدِّمة كتبه.

المنهج المستنبط من خلال تفسير سورة المزمِّل[١]

أوَّلًا: ذكر الخلاف، هل السورة كلُّها مكِّية أم آخرها نزل بالمدينة، ثمَّ رجَّح أنَّها مكِّية كلُّها، مستدلًّا على ذلك بالسُّنَّة، وهذا يدلُّ على أنَّه يرجِّح بين الأقوال بالدليل.

ثانيًا: ذكر المناسبة العامَّة والخاصَّة بين هذه السورة وسورة الجنِّ التي قبلها، ونقل عن الآلوسي المناسبة الخاصَّة، وهنا يطبِّق علم المناسبات في التفسير، وقد تقدَّم أنْ أشار إلى أهمِّيَّته في إبراز أوجه الإعجاز وإحكام النَّظْم.[٢]

ثالثًا: بدأ المقطع الأوَّل ببيان المفردات الغريبة لغة، فذكر الكلمات الآتية: المزمِّل، رتِّل، ثقيلًا، ناشئة الليل، وطئًا، سبحًا، تبتَّل، وكيلًا، ومن المصادر التي اعتمدها الكشَّاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي.

رابعًا: بيان إعراب بعض المفردات، ومصادره هنا البحر المحيط لأبي حيَّان، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، وذكر الخلاف

---

١ في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا، ١٨٣ وما بعدها.

٢ قال السيوطي: المناسبة في اللُّغة المشَاكَلَةُ والمقاربة ومَرجِعُها في الآيات ونحوها إلى معنًى رابطٍ بينها عامٍّ أو خاصٍّ عقليٍّ أو حِسِّيٍّ أو خياليٍّ أو غير ذلك مِنْ أنواع العلاقات، أو التلازم الذهنيّ كالسبب والمسبَّب والعلَّة والمعلول والنظيرين والضِّدَّين ونحوه، الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٧١، وقال: من هذا النوع مناسبة فواتح السُّوَر وخواتمها... ومنه مناسبة فاتحة السُّورَة لخاتمة ما قبلها، الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٧٩. فالمناسبة العامَّة تكون ما بين آيات السورتين المتجاورتين، والمناسبة الخاصَّة ما بين آخر سورة وأوَّل سورة.

والترجيح وسببه، وهذا التنوُّع في مصادر التفسير يدلُّ على الدِّقَّة في اختيار المصدر المناسب لموضوع البحث، فعند بيان المعنى اللغوي رجع إلى الزمخشري، وعند بيان الإعراب رجع إلى أبي حيَّان.

خامسًا: بيان المعنى والأسلوب، وكذلك يذكر المناسبة الخاصَّة بين آيات السورة، وقد رجع إلى أمَّهات التفاسير، كتفسير الرازي والنسفي وابن كثير، ثمَّ ذكر رأي الزمخشري في تفسير يا أيُّها المزمِّل...، وذكر ردَّ المفسِّرين على سوء أدبه مع صاحب الرسالة ﷺ.

سادسًا: الاستنباط، استخرج من المقطع الأوَّل عدَّة فوائد تتعلَّق بموضوع الآيات، كفضيلة قيام الليل، ووجوب ترتيل القرآن، والحضِّ على ذكر الله تعالى، ووجوب التوكُّل على الله.

سابعًا: اتَّبع هذا المنهج في بقيَّة مقاطع السورة، وقد رجع إلى السُّنَّة الشريفة فاستدلَّ بها، وكانت مصادره متنوِّعة فرجع إلى الشيخين والإمام أحمد والطبراني، ولكنْ لم يوثِّق نقل الحديث، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّ هذه الأحاديث مذكورة في التفاسير التي رجع إليها.[1]

المطلب الثاني: منهج التفسير في آيات الأحكام

أضاف أستاذنا في كتابه (آيات الأحكام: تفسير واستنباط) مسائل مهمَّة في منهج التفسير عمومًا، وتفسير آيات الأحكام خصوصًا، قال: «وفي اختلاف أئمَّة العلم أخذنا بالتثبُّت من نسبة الحكم إلى المذهب؛ لئلَّا تتشوَّش معلومات قارئ الكتاب من الخطأ في العزو إلى المذهب، كما بيَّنا الأصول التي يعتمد عليها كلُّ مذهب، وكيف فسَّر الآية حتَّى تمَّ له استخراج الحكم من الآية، وهذه قضيَّة علمية مهمَّة في تكوين ملكة الفقه والتفسير عند طالب العلم، كما أنَّها جسر ضروري للوصول إلى العمل بكتاب الله تعالى كما أمرنا؛ وذلك بأنْ يتفهَّم القارئ الآية بحسب مذهبه،

١ في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا، ٢٠٢.

فيصبح إمام المذهب أستاذه في فهم كتاب الله تعالى، فيكون بهذا عاملًا بكتاب الله تعالى، وينتقل من التقليد إلى اتِّباع كتاب الله تعالى، وهذا الأخذ عن إمام ضروري لا بدَّ منه طالما أنَّ القارئ لم يبلغ المرتبة الشاقَّة الشاهقة؛ أعني إمكان استخراج الحكم بنفسه والترجيح بين الآراء وفق القواعد».[١]

ويلاحظ اهتمام أستاذنا بأصول العلم وتكوين شخصيَّة علمية تعرف من أين تبدأ بالعلم، وكيف تبحث فيه، وما الغاية التي يجب السعي إليها، أو الثمرة المرجوَّة من البحث العلمي الدقيق؛ ولهذا نبَّه على خطورة السطحية في التفكير والتقليد لمجرَّد ظاهر النصوص، والاعتماد على قول مفسِّر أو شارح حديث، دون معرفة كيفيَّة الوصول إلى قواعد الأصول، قال: «وربَّما يظنُّ كثير من الناس، بل ظنُّوا فعلًا، أنَّهم بقراءة تفسير أو شرح حديث، قد عملوا بالاجتهاد والعمل مباشر بالقرآن والحديث، وهم في هذه الظنون واهمون، وعن الحقيقة غافلون، وهي حقيقة أنَّهم اتَّبعوا صاحب التفسير وشارح الحديث فيما قدَّمه لهم أنَّه الفهم الصحيح والسنَّة الحقُّ... ممَّا يشكِّل خطرًا على سعة العقل المسلم، وتعصُّبًا ضدَّ سائر المسلمين، الأمر الذي ظهرت نتائجه السيِّئة، بل الخطرة، على العقل المسلم، بل وعلى وحدة المجتمع المسلم».[٢]

ثمَّ ذكر ما يمتاز به عمله في الكتاب، فقال: «ويمتاز عملنا في هذا الكتاب بمزايا نذكر منها مختصرًا ما يأتي: اتِّباع خطَّة التفسير التي تحدَّث عنها العلماء، ومراعاة الأولويَّات في ترتيب المعلومات: بتقديم المناسبة، فأسباب النزول، ثمَّ الدراسات اللغوية، والقراءات، ثمَّ شرح المعنى والاستنباط...إلخ».[٣] وهذا هو منهج التفسير التحليلي، وقد التزم أستاذنا بهذا المنهج في كتبه، وقد قدَّمتُ أنموذجًا في المطلب السابق من خلال كتابه (في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا)، وسأذكر في هذا المطلب أنموذجًا ثانيًا من خلال كتابه (آيات الأحكام: تفسير واستنباط)، هذا الكتاب الذي درَّستُه في السنة الثالثة بكلِّيَّة الشريعة، جامعة

١ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٦.

٢ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٦.

٣ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٧.

دمشق لمدَّة تسع سنوات، وقد استفدتُ كثيرًا من المنهج المذكور، وكان مقبولًا مناسبًا جدًّا للطلَّاب، ولم تعترض سيرَ العملية التدريسية معضلةٌ علمية، سوى مسألة واحدة، راجعتُ أستاذنا في الكلِّيَّة فحلَّها على الفور! ولعلَّ الذي سهَّل فَهْمَ هذا الكتاب لدى الطلَّاب هو دراستهم للفقه وأصوله في الكلِّيَّة.

المنهج المستنبط من خلال تفسير آيات الأحكام «من سورة النساء»[1]

١- عرَّف بسورة النساء، وذكر الخلاف باستثناء آية منها قيل نزلتْ بمكَّة، فرجَّح أنَّها مدنية كلُّها، واستدلَّ بالسُّنَّة، ثمَّ بيَّن بعض القواعد التي تساعد على معرفة المكِّي والمدني، ثمَّ أشار إلى مناسبة تسمية السورة باسم النساء، وكذلك مناسبتها العامَّة والخاصَّة لسورة آل عمران، ويلاحظ أنَّ ما ذكره في هذا الكتاب لا يختلف عمَّا ذكره في كتابه المتقدِّم.

٢- وضع للآية الأولى من سورة النساء عنوانًا باسم: وحدة الأصل البشري، وفي هذا العنوان إشارة إلى التفسير الموضوعي.

٣- المفردات الغريبة، بدأ التفسير ببيان المفردات الغريبة، مشيرًا إلى تأصيل المعاني في اللغة، وبذلك يدرِّب الطالب على كيفيَّة البحث العلمي الدقيق.

٤- الإعراب والقراءات، أعرب بعض المفردات، وذكر القراءات في كلمة الأرحام، واعتراض النحويين، والردَّ عليهم، وأشار إلى قاعدة مهمَّة هي أنَّ القراءة المتواترة أقوى وأثبت من شواهد النحويين.

٥- المعنى والأسلوب، عرض ذلك المعاني العامَّة بأسلوب سهل وواضح، لا مختصرٍ مخلٍّ، ولا مطوَّلٍ مملٍّ.

٦- استنباط الفوائد والأحكام، فاستدلَّ بالآية على أنَّ أصل الناس هو آدم عليه السلام، وأكَّد ذلك بالقرآن نفسه، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، ثمَّ أكَّده بالسنَّة، وهذا من تفسير القرآن بالسنَّة، وبذلك ردَّ على بعض المعاصرين الذين يرون أنَّ المراد بكلمة

١ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٣١ وما بعدها.

«الناس» في الآية هم العرب، تأثُّرًا بوهميَّة نظريَّة التطوُّر التي تكهَّنتْ على الغيب بغير برهان.

وأشار إلى مسألة مهمَّة جدًّا في رفع الخلاف هي الإجماع، حيث يفيد اليقين، فلا خلاف بعد ثبوته، فذكر قول الرازي: إنَّ المسلمين أجمعوا على أنَّ المراد بالنفس الواحدة هي آدم عليه السلام، وبهذا الإجماع ردَّ على بعض المعتزلة الذين أنكروا أنْ يكون خلق حواء من نفس آدم.

ثمَّ أشار إلى تعظيم حقِّ الرحم ووجوب صلتها، ووجه دلالة الآية على ذلك أنَّ الله تعالى عطف ذكر الرحم على الأمر بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، فدلَّ على وجوب حقِّها، وذلك على قراءة النصب وعلى أحد وجهي الإعراب، أمَّا على الوجه الآخر وهو عطف على «به» وكذا على قراءة الجرِّ، فلأنَّها قرَّرتْ التساؤل بالرحم وذلك يفيد عظمة شأنها، وقرنها باسمه، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وكذلك دلَّت الآية على جواز السؤال بالرحم، وذلك واضح على قراءة الجرِّ، وذكر مخالفة الإمام ابن عطيَّة واستدلاله بالحديث الصحيح في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، قال: «ويُجاب عن استدلاله بأنَّ قول الرجل لآخر: أسألك بقرابتي... لا يفيد إلَّا التأكيد والاستعطاف، فلا يدخل في النهي الوارد في الحديث».[١]

وكذلك دلَّت الآية على عظمة مراقبة الله تعالى، وذكر أنَّ النصوص في ذلك كثيرة، أشار إلى قول النبيِّ ﷺ: (أَنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تراهُ فإنْ لم تكن تراهُ فإنَّه يراكَ).[٢]

١ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٤٩.

٢ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن الإيمان والإسلام.

المبحث الرابع

موقف الدكتور نور الدين عتر من التفسير في العصر الحديث

من المهمِّ ونحن نبحث في جهود ومنهج الدكتور نور الدين عتر في التفسير أنْ نبيِّن موقفه من مناهج التفسير المعاصرة، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأوَّل: البيئة العامَّة وأثرها في التفسير الحديث

ذكر أستاذنا أنَّ في مطالع القرن الرابع عشر الهجري المنصرم، وفي ظلِّ الاحتلال الأجنبيّ لكثير من البلاد الإسلامية، احتدم الصراع الفكري في البلاد الإسلامية، وأثيرت شبهات وإشكالات حول مفاهيم القرآن الأساسية والعلوم التي اشتمل عليها، وكانت النزعة المادِّيَّة الصرفة الملحدة متسلِّطة على المفكِّرين في أوربَّة، ممَّا جعل جملة هذه العوامل وغيرها يثير الجدل والشبهات التي أثارت رجال العلم والفكر المسلمين للاضطلاع بمهمَّتهم تِّجاه هذا الواجب، وكان من الطبيعي أن تتَّجه الأنظار إلى القرآن، فتوجَّه المنحرفون إلحادًا وتشكيكًا، وتوجَّه العلماء إظهارًا للحقِّ وهداية القرآن، وتفسيرًا صحيحًا لآياته ولإعجازه؛ لكن في ظلِّ الانبهار لتفوُّق الأجنبي، جاءت بحوث عدد من العلماء والمفكِّرين الإسلاميين متأثِّرة بمناهج الأجانب ومفاهيمهم المادِّيَّة البحتة، وظهر أثر ذلك واضحًا في تفاسير عدد منهم ممَّا يتعارض مع الأدلَّة ومناهج التفسير، ومن ذلك إنكار بعضهم المعجزات الحسِّيَّة، وتأويل الآيات الواردة فيها تأويلًا بعيدًا متكلِّفًا، وراح بعضهم يفسِّر الآيات القرآنيَّة على أيِّ شيء يسمعه من المكتشفات العلمية دون تثبُّت من صحَّة الاكتشاف، فضلًا عن فهم حقيقته وطبيعته، ودون تقيُّد بأصول علم التفسير التي لا يجوز الإخلال بها، حتَّى ظهر تفسير ضخم للقرآن كلِّه هو: «الجواهر في تفسير القرآن»، للشيخ طنطاوي جوهري، يعجُّ بالطامَّات في أمور العلم والجموح العجيب في تفسير القرآن.[1]

---

١ علوم القرآن الكريم، ١١٠، بتصرُّف.

وقد ظهرت ردود ومناقشات حول هذه القضايا كلِّها؛ لكن لم يظهر تفسيرٌ كاملٌ ملتزمٌ بمنهج التفسير في ذلك الوقت، يتضمَّن التفسير الصحيح في هذه الآيات الكثيرة، حتَّى إذا كان الربع الأخير من القرن الرابع عشر نشطت الدراسات القرآنيَّة نشاطًا عظيمًا، وظهرت دراسات تفسيرية لبعض السور أو الجوانب، كما ظهرت تفاسير متنوِّعة، ذات مناهجَ مبتكرة متعدِّدة، فيها تجديد في عرض معاني كتاب الله، يعتمد أصول التفسير، ويعوِّل على المصادر القديمة، ويلائم حاجة القارئ المعاصر في ضوء استقرار الحقائق العلمية، وانجلاء الغبار عن أخطاء السابقين، وإن كان بعضهم تأثَّر بأخطاء السابقين لكنَّ الجملة يعتمد عليها.[1]

المطلب الثاني: مناهج التفسير الحديث[2]

عَرَضَ أستاذنا مناهج التفسير الحديث وبيَّن موقفه منها، وهي:

الأوَّل: **التفسير المنهجي**: من أشهر كتبه: «التفسير الواضح» للدكتور الشيخ محمَّد محمود حجازي، وطريقة هذا التفسير أنَّه يتبع أصول التفسير وخطواته عند العلماء؛ لكنَّه ينظِّم هذه الخطوات في فقرات منفصلة هكذا: أسباب النزول، مناسبة الآية لما قبلها، المفردات اللغوية، الإعراب وأثره في المعنى، البلاغة، المعنى العامُّ، ثمَّ ما يستنبط من النصِّ من الفوائد، مع مراعاة سلاسة الأسلوب ووضوحه، ومزج فيه التفسير بالمعاني العلمية والتوجيهات الاجتماعية والاستنباطات لكنَّ المؤلِّف كثيرًا ما يخالف ما عليه الجمهور، دون أن يُظهر مبرِّرًا لعمله ذلك، وعلى كلٍّ فالكتاب هامٌّ وسهل لعامَّة القرَّاء، ومفيد، ويلائم بثَّ روح النهوض في المسلم، وإيقاظ وعيه للعلوم والثقافات.

الثاني: **التفسير الأدبي الاجتماعي**: هو تفسير يُبرز إعجاز القرآن، ويعتمد في عرض معانيه على الأسلوب الأدبي الجذَّاب؛ ليصل إلى القارئ بما يريد من التأثير والتوجيه، وقد لفت هذا التفسير الوحيد إليه الأنظار؛ لأنَّه استطاع أن يملك ناصية

١ علوم القرآن الكريم، ١١٠، بتصرُّف.

٢ علوم القرآن الكريم، ١١٢، بتصرُّف.

البيان الأدبي في عرض المعاني، وناصية الذوق الأدبي في فهم أسرار إعجاز القرآن، ثمَّ في المنطلق المعاصر الذي عُنيَ به، وهو إبراز إعجاز القرآن في فنِّ التصوير، حتَّى استطاع أن ينال الاعتراف به والإعجاب؛ إذ سبق وبادر لإثبات إعجاز القرآن وفق مقياس أدبي فنِّي حديث هو فنُّ التصوير، وأن يقدِّم تفسيرًا كاملًا للقرآن يبرز فيه مصداق هذه النظرية، ولم يصرِّح أستاذنا باسم هذا التفسير، وكذلك لم يبيِّن موقفه منه، وهو مشهور وله تأثير كبير في بعضهم، فالتفسير هو (في ظلال القرآن لسيِّد قطب).

الثالث: **التفسير العلمي**: هو التفسير الذي يجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية من القرآن الكريم، وقد أخذ هذا النوع من التفسير اهتمامًا عظيمًا لدى المثقَّفين في الآونة الأخيرة، وذلك لمَّا كشف عنه تقدُّم العلم من إعجاز القرآن، وتصديقه الحقائق العلمية، على حين قضى تقدُّم العلم بالبطلان على التراث الديني لدى الأمم الأخرى، وزاد ذلك الاهتمام ضعف ملكة الدارسين الأدبية، فضلًا عن أنَّ القسم الأعظم من المسلمين ليسوا من العرب؛ لكن وقع من بعض الكاتبين غلوٌّ وجنوح في هذا التفسير، كتفسير (جواهر القرآن لطنطاوي جوهري).[1]

ثمَّ قال أستاذنا: «ونقتبس على هذا الصنيع ملاحظتين من فضيلة الأستاذ العلَّامة الشيخ محمَّد أبو زهرة، تشملان شروط قبول هذا التفسير: **الملاحظة الأولى**: أنَّهم يحاولون أن يحمِّلوا القرآن نظريَّاتهم، وعليهم أن يفهموه كما تبيِّن ألفاظه وكما تومي إشاراته، وذلك لأنَّهم أحيانًا يحمِّلون القرآن ما لا يحتمل، ويرهقون ألفاظه بالتأويل، وأحيانًا يأتون بنظريَّات لم تكن حرِّرت بعدُ من الشكِّ والنظر، وقد تتغيَّر، ولا يصحُّ أن يبقى القرآن تتردَّدُ معانيه باختلاف النظريَّات؛ بل إنَّ الواجب أن ندرس ما في القرآن على أنَّه حقائق، فما وافقه من العلوم قبلناه. **الملاحظة الثانية**: أن يُدرس الكون في القرآن على أنَّه (يعني القرآن) حقائق ثابتة، وأنَّه هو موضع التسليم من المؤمن بالله تعالى وبالقرآن، فلا تجعل حقائقه (القرآن) موضع نظر؛ بل إنَّ الإيمان بالقرآن يوجب الإيمان بكلِّ ما اشتمل عليه، ولا يصحُّ لنا أن نترك ظاهر القرآن

١ علوم القرآن الكريم، ١١٤، بتصرُّف.

ونتَّجه إلى تأويله، إلَّا أن يكون الظاهر يقبل التأويل، وتكون حقائق العلم الثابتة تقتضي الأخذ بالتأويل الذي يحتمله القرآن من غير تعسُّف، ولا خروج بالألفاظ إلى غير معانيها».[١]

الرابع: **التفسير العامُّ**: هو تفسير يعرض مقاصد الآيات ومعانيها، دون دخولٍ في تفاصيل المفردات وجزئيَّات المعنى، وقد نال هذا التفسير مكانةً كبيرة في الأوساط العامَّة، وأصبح عمدة في الخطب والمقالات، والأحاديث والبحوث الإسلامية الثقافية؛ لكن كثر دخول من ليس من أهل التفسير فيه، وكثر الخطأ فيه، حتَّى ربَّما أدخل كثيرون في تفسير الآية أشياءَ لا علاقة لها بالآية، فضلًا عمَّا هو أشدّ من ذلك، والذي يجب أن يتنبَّه له كلُّ باحث أو محاضر أو خطيب أو داعية أن يعلم أنَّه مطالَبٌ بمراعاة أصول التفسير وقواعده؛ ليكون ما يعرضه على الناس من التفسير العامِّ حصيلةَ دراسةٍ مبنيَّةٍ على المنهج السليم، فيحوز أجرَ المبلِّغين لكتاب الله وعلومه، وينجو من الوعيد الشديد الذي عرفناه فيمن تكلَّم في القرآن برأيه، ولعلَّ أهمَّ ما صُنِّف في هذا النوع: (تفسير القرآن الكريم لفضيلة أستاذنا الشيخ محمود شلتوت رحمه الله).

الخامس: **التفسير الموضوعي**: هو تفسير يدرس القضايا بحسب دلالة الآيات القرآنية في القرآن كلِّه، أو بحسب مقصد سورة منه، وقد عُني المعاصرون بالتفسير الموضوعي؛ لملاءمته حاجة العصر ودراسة القضايا الحديثة، ومن الكتب الهامَّة المفيدة فيه كتابا «هدي القرآن إلى الحجَّة والبرهان»، و«هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكُّر في الأكوان»، كلاهما لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الله سراج الدين، وكتاب «نبوَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم في القرآن» للدكتور حسن ضياء الدين عتر.

وهكذا جاءت جهود المعاصرين بأساليبَ مبتكرة في التفسير، تلبِّي حاجة العصر، وتُبرز إعجاز القرآن في أسلوبه ومضمونه وفي هدايته، وخصوصًا تلك التي التزمت منهج التفسير الذي قرَّره العلماء.[٢]

---

١ علوم القرآن الكريم، ٢٣٩، وراجع: المعجزة الكبرى القرآن، محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ٣٧٢.

٢ علوم القرآن الكريم، ١١٥.

الخاتمة

بعد الترجمة الموجزة للدكتور نور الدين عتر، ووصف جهوده في علوم القرآن والتفسير، واستنتاج منهجه من خلال بعض كتبه في ذلك، وبعد بيان موقفه من التفسير في العصر الحديث؛ أُثبِتُ أبرز نتائج هذه الدراسة في النقاط الآتية:

١- لقد اتَّفق العلماء وطلبة العلم في أنحاء العالَم الإسلامي على أنَّ الدكتور نور الدين عتر يُعَدُّ من كبار علماء القرن الخامس عشر الهجري، وقد برزتْ جهوده في علوم القرآن والسنَّة والفقه، وتميَّز بأنَّه شخصيَّة علمية خالصة من فتن عصره السياسية والفكرية والاجتماعية، لم يشغله شأن العلم عن أيِّ شأن، فَهِمَّتْه في العلم، وهَمُّهُ في نهضة الأمَّة علميًّا وأخلاقيًّا.

٢- تناولتْ هذه الدراسة جهوده في علوم القرآن والتفسير، وذلك بعد جمعها والنظر فيها، وقد سبق أنْ دَرَسْتُ ودَرَّسْتُ بعضها، وهي: علوم القرآن، وآيات الأحكام تفسير واستنباط، والتفسير أحكام القرآن، وهذه الكتب أُلِّفَتْ تأليفًا أكاديميًّا لأجل التدريس في الجامعة، ولهذا نجد تداخلًا في موضوعاتها وعناوينها، بما يناسب المرحلة الدراسية والكلِّيَّة التي تُدَرَّس فيها، فالكتاب الذي يُدَرَّس في كلِّيَّة الشريعة لا يكون موافقًا من كلِّ جهة للكتاب الذي يُدَرَّس في كلِّيَّة الآداب، وكذلك نجد إضافات وتعديلات، وخاصَّة إذا نُشِر الكتاب خارج الجامعة، وبعض العناوين مُسْتَلَّة من كتاب؛ لأجل التوسعة في الموضوع أو نشره في مجلَّة من المجلَّات العلمية أو تسهيله للعامَّة.

٣- تميَّز منهج الدكتور نور الدين عتر في كتبه بالتأصيل والدِّقَّة، والالتزام بأصول وقواعد تفسير النصوص، التي اتَّفق عليها الراسخون في العلم، فيبدأ بالتفسير اللغوي للمفردات، ويذكر القراءات إنْ وجِدَت، ويشير إلى بعض المسائل النحوية التي لها أثر في توجيه معنى الآية، ويذكر أسباب النزول إنْ وجِدَت، ويذكر المناسبة بين السور وكذا بين الآيات، ثمَّ يدخل إلى المعنى العامِّ والأسلوب، ثمَّ الاستنباط والتوجيه، فقد جمع بين طريقة التفسير التحليلي والموضوعي.

٤- جمع الدكتور نور الدين عتر بين الأصالة والمعاصرة، **فهو الشيخ المربِّي، والأستاذ الجامعي**، ظهرتْ أصالته في المنهج الرصين الرزين الذي لم يخرج عن منهج العلماء الراسخين، وظهرتْ معاصرته في مناقشة بعض الأفكار المعاصرة، فقد نبَّه في كتاب علوم القرآن على الأخطاء الشائعة، مثل قضية المتشابه في الصفات، وكذلك ردَّ على المستشرقين في بعض الدعاوى الزائفة، مثل مسألة الوحي النفسي، واختلاف أسلوب القرآن ما بين المكِّي والمدني.

٥- كان للدكتور نور الدين عتر موقف واضح من التفسير في العصر الحديث، فقد وصف مناهج التفسير في هذا العصر، وبيَّن رأيه في كلِّ نوع، مؤكِّدًا على الالتزام بمنهج علماء التفسير، والضوابط المتَّفق عليها، حتَّى لا يضلَّ الإنسان بالتفسير بالرأي الذي حذَّر منه النبيُّ ﷺ، حيث قال: (اتَّقُوا الحديثَ عنِّي إلَّا ما عَلِمتُم فمن كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ منَ النَّارِ ومَنْ قالَ في القرآنِ برأيهِ فليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ).[١]

١ سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، باب ما جاء في الذي يفسِّر القرآن برأيه، وقال: هذا حديث حسن.

المصادر والمراجع

- **آيات الأحكام تفسير واستنباط**، نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **الأستاذ الدكتور نور الدين عتر وجهوده في علوم الحديث**، رسالة الماجستير، عبد العزيز خلف، كلِّيَّة الشريعة جامعة دمشق، نوقشتْ بتاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠٠٧م، حصلت على نسخة الباحث، حيث لم تنشر الرسالة.
- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **جهود نور الدين عتر في خدمة السنَّة النبويَّة**، عبد العزيز محمَّد خلف، مجلَّة Hadis Tetkikler Dergisi، مج١٦، ع٢، ٢٠١٨م.
- **سنن الترمذي**، محمَّد بن عيسى أبو عيسى، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م.
- **صحيح البخاري**، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، ت مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.
- **علوم القرآن الكريم**، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- **في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا**، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.
- **المعجزة الكبرى القرآن**، محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- **موقع الرابطة المحمَّديَّة للعلماء**، المملكة المغربية. https://www.arrabita.ma.